**المحاضرة السادسة ( الصرفة والقدر المعجز من القران )**

**(خلاصة رأي العلماء في مذهب الصرفة في إعجاز القرآن )**

هذا الكون الفسيح الذي يعج بمخلوقات الله تضاءلت جباله الشامخة، وبحاره الزاخرة، ومهاده الواسعة، أمام مخلوق ضعيف هو الإنسان، ذلك لما جمع الله فيه من خصائص، وما منحه من قوة التفكير التي تَشِع في الأرجاء لتسخر عناصر القوى الكونية، وتجعلها في خدمة الإنسانية، وما كان الله ليذر هذا الإنسان دون أن يمده ببصيره، فكان رسل الله الذين يتنزل عليهم الوحي ويؤيدهم الله بخوارق العادات التي تقيم الحجه على الناس يعترفون أمامها بالعجز، ويدينون لها بالولاء والطاعة.

فبينما كان تأييد الله لرسله السابقين بآيات كونية تبهر الأبصار لا سبيل للعقل في معارضتها، كمعجزة العصاء لموسى ، وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله لعيسى ، كانت معجزة محمد في عصرٍ مشرفٍ على العلم معجزة عقلية تحاج العقل البشري وتتحداه إلى الابد وهي معجزة القرآن بعلومه ومعارفه.

والقرآن الكريم تحدى به النبي العرب، وقد عجزوا عن معارضته مع طول باعهم في الفصاحة والبلاغة، ومثل هذا لا يكون إلاّ معجزًا، فعجز العرب عن معارضة القرآن مع توفر دواعي عجز للغة العربية في ريعان شبابها وعنفوان قوتها.

ومن الباحثين من طوعت له نفسه أن يذهب إلى القول بأن وجه إعجاز القرآن هو الصُرْفة، أي صرف الله العرب عن معارضته على حين أنه لم يتجاوز في بلاغته مستوى طاقتهم البشرية، فانصراف العرب عن معارضتهم للقرآن لم ينشأ من أن القرآن بلغ في بلاغته حد الإعجاز الذي لا تسمو إليه قدرة البشر عادة بل لواحد من ثلاثة:

- أولها: أن بواعث هذه المعارضة ودواعيها لم تتوافر لديهم.

- ثانيها: أنّ صارفًا إليها زهدهم في المعارضة فلم تتعلق بها إرادتهم ولم تنبعث إليها عزائمهم فكسلوا وقعدوا على رغم توافر البواعث والدواعي.

- ثالثها: أنّ عارضًا مفاجئًا عَطَّل مواهبهم البيانية، وعاق قدرهم البلاغية، وسلبهم أسبابهم العادية إلى المعارضة على رغم تعلق إرادتهم بها وتوجه همتهم إليها.

بهذا التوجيه أو نحوه يُعزى القول بالصرفة إلى أبي إسحاق الإسفراييني، والنظام من المعتزلة، والمرتضى .

والقول بالصرفة قولٌ فاسدٌ يرد عليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (88)﴾ [سورة الإسراء]، فإنه يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم، ولو سلبوا القدرة لم يبق فائدة لاجتماعهم.

كما أنّ القول بالصرفة بفروضه التي افترضوها، أو بشبهاته التي تخيلوها، لا يثبت أمام البحث، فينقضه ما سجله التاريخ وأثبته التواتر، من أن دواعي المعارضة كانت قائمة موفورة ودوافعها كانت ماثلة متآخذة، كذلك ينقضه ما هو معروف عند العرب حين خوطبوا بالقرآن قعدوا عن معارضته، اقتناعًأ بإعجازه وعجزهم الفطري عن مساجلته.

قال القاضي أبو بكر الباقلاني : " ومما يبطل القول بالصرفة، أنه لو كانت المعارضة ممكنة، وإنما منع منها الصرفة، لم يكن الكلام معجزًا، وإنما المنع معجزًا، فلا يتضمن الكلام فضلاً على غيره في نفسه ".

فلا نعلم أحدا من أهل العلم نص على التفريق بين السورة القصيرة والطويلة في الإعجاز، ولكن منهم من قال: لا يحصل الإعجاز بآية بل يشترط الآيات الكثيرة. كما ذكر السيوطي في (الإتقان).

**( القدر المعجز من القران )**

 وقد وقع في القدر المعجز من القرآن خلاف بين أهل العلم على أقوال مشهورة:

ـ أولها: أن الإعجاز متعلق بجميع القرآن لا ببعضه، وهو قول مردود، قال به بعض المعتزلة.

ـ وثانيها: أن الإعجاز يتعلق بقليل القرآن وكثيره. وهذا ما رجحه الدكتور فهد الرومي في كتابه : (دراسات في علوم القرآن).

ـ وثالثها: أن الإعجاز متعلق بسورة تامة طويلة أو قصيرة، وهذا رأي الجمهور. قال الدكتور مصطفى مسلم في كتابه (مباحث في إعجاز القرآن): ورأي الجمهور هنا هو الذي يظاهره ويؤيده ظاهر مراحل التحدّي فيه.

وزاد بعضهم أنه يتعلق أيضًا بقدر سورة تامة، وأقصر سورة في القرآن ثلاث آيات، فيكون مقدار هذه السورة من الآيات معجز.

وهنا ننبه على أمر مهم ذكره الدكتور مصطفى مسلم فقال: يجب التفريق بين أمرين:

ـ الأول: ما وقع به التحدي، فالتحدي لم يقع على أقل من سورة، والسورة تطلق على القصيرة والطويلة، والسورة بشخصيتها المستقلة هي المقصودة في آيات التحدي، والإتيان بمثلها خارج عن طوق الإنس والجن وإن قصرت كسورة الكوثر.

ـ الأمر الثاني : القدر الدال على كون القرآن كلام الله، أي معرفة مصدر القرآن وكونه وحيا منزلا من الله، وهذا لا يتقيد فيه بمقدار معين، فقد يدرك ذلك من خلال سورة، أو من خلال آية واحدة، أو بعض آية أو كلمة واحدة، فورود بعض الكلمات في سياق الحقائق الكونية أو الحقائق العلمية في النفس الإنسانية يدل على أن ذلك لا يدخل في نطاق العلم البشري، كما في قوله تعالى: أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفاتاً\* أَحْياءً وَأَمْواتاً [المرسلات: 25، 26]. وقوله تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا \* ثُمَّ قَبَضْناهُ إِلَيْنا قَبْضاً يَسِيراً [الفرقان: 45، 46]. وقوله تعالى: يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُماتٍ ثَلاثٍ [الزمر: 6]. فهذه الحقائق لم تكن في مقدور أحد من البشر أن يحيط بها علما عند نزول القرآن الكريم، فدل ذلك على أن الذي يعلم السر في السماوات والأرض هو منزل القرآن الكريم .